

مصر وحزب الله

12

اللافت للنظر أن مصر الرسمية مصرة على اتخاذ موقف من حزب الله لا يتسم بالعداء بقدر ما يتسم بالنقد المستمر والمتكرر. وكانت الإشارات الأولى عندما أعلن الرئيس مبارك خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو ٢٠٠٦ نقده لعملية خطف الجنديين الإسرائيليين من جانب مقاتلي حزب الله. وأوضح الرئيس مبارك في تصريحات متفرقة أن الحزب جزء من التشكيلة الوزارية اللبنانية، وأنه اتخذ قرار خطف الجنديين وهو يعلم بالآثار والرد الإسرائيلي ومع ذلك لم يتشاور مع بقية أعضاء الحكومة حتى يمكن اتخاذ الترتيبات اللازمة لإعداد البلاد لهذه الآثار المدمرة. كان واضحاً أن نقد الرئيس للحزب ينصب أساساً على فداحة الدمار الذي لحق بلبنان، وعدم التناسب بين خطف جنديين وبين كل هذا الدمار، وهو نقض كان يجب أن يوجه إلى إسرائيل وليس لحزب الله. وافترض الرئيس أن الحزب أقدم على الخطف وهو مدرك لا احتمالات الرد الإسرائيلي، خلافاً لحالات الخطف السابقة، ورغم تأكيد السيد حسن نصر الله أمين عام الحزب الذي أعلن مرات عديدة أن سياسة الحزب هي اللجوء إلى الخطف لكي يبادل المخطوفين مع الأسرى الذين أمضوا عقوداً في السجون الإسرائيلية والذين تضم قائمتهم لبنانيين وفلسطينيين وعرباً آخرين غيبتهم ظلمات هذه السجون والتعذيب الوحشي لهم، وليسوا على أجنحة أحد في العالم العربي وكأن قضيتهم أمر مشين للعالم العربي ويسيء إليه وأنه من العار الحديث عن هذه القضية.

ولكن الرئيس مبارك كرر موقفه دون أن يبدو أنه أخذ في الاعتبار إيضاحات الحزب، وربما كان بذلك يرد على الملاحظات القاسية ضد بعض الزعماء العرب. ولكن القضية في ظني ليست رد الرئيس أو تأكيد موقف لأن مصر دولة كبرى ولا بد أن يحظى موقفها بالتحليل المنطقي وأن تتحدد المصلحة الوطنية وراء هذه المواقف.

في نفس الاتجاه تواترت تصريحات وزير الخارجية المصري التي تنتقد حزب الله على أساس أن الحزب ينفذ أجندة أجنبية بعيدة عن المصالح اللبنانية، وأن خطف الجنديين كان خطأ مقصوداً ويهدف إلى أن يفلت الحزب من استحقاق نزع سلاحه في إطار الحوار الوطني وأضاف إلى ذلك أن حزب الله تسبب في المزيد من احتلال الأراضي اللبنانية أي أن تصرف الحزب سبب العكس من منظور المصلحة اللبنانية.

هذا الموقف الرسمي المصري يسانده موقف فكري وثقافي لعدد من الكتاب من بينهم مفكرون لهم علاقات دافئة مع الولايات المتحدة، وبعضهم ينتقد الحزب من موقع طائفي، أو من موقع علماني يعادى الخط الديني الإسلامي أصلاً. على الجانب الآخر يقف الشارع المصري كله تقريباً مع حزب الله ويصدق بياناته. هذا التقابل التام بين الموقف الرسمي وبعض المواقف الفكرية المحدودة للغاية في مصر لا بد له أسبابه التي يتعين تحليلها في هذه المقالة.

أما الموقف الرسمي المصري، فمن الواضح أنه لم يتفادى اتهام الحزب صراحة بأنه ينفذ أجندة محددة سورية أو إيرانية، وهو يقترح بذلك في وطنية الحزب ولبنانيته. من الواضح أيضاً أن مواضع النقد المصري للحزب تكرر للموقف الذي تؤكدته قوى ١٤ آذار في لبنان، كما تلتقي بغير تفصيل كثير مع بعض المواقف الرسمية العربية. من الواضح ثالثاً أن الموقف الرسمي المصري أدان العدوان الإسرائيلي والدمار الذي سببه، وطالب بالموقف الفوري لإطلاق النار، كما بادرت

مصر إلى إصلاح الخلل الذى اعترى قرار مجلس الأمن ١٧٠١ وطالب الجميع باحترامه على أية حال طلباً للهدوء فى لبنان، كما تبدى مصر الرسمية قلقها على تطورات الوضع الداخلى للبنان حتى قبل العدوان وكان لها بعض المساعى لإنجاح الحوار الوطنى وتجنب الحدة التى قد تشعل الحرب الأهلية من جديد.

من الواضح رابعاً أن موقف مصر يؤثر بشكل ما حتى فى ظل انسحاب الدور المصرى وانكماشه وانكفائه على نفسه، ولسوء الحظ فإن موقف مصر مع دول أخرى منذ يوم ١٣/٧/٢٠٠٦ أى اليوم التالى للعدوان الإسرائيلى، كان له أبلغ الأثر على الموقف الإسرائيلى والأمريكى فى الحرب، بل تجاسرت إسرائيل على البوح بأن زعماء عرباً اتصلوا بها لتشجيعها على سحق حزب الله.

فالثابت حقاً أن هذا الموقف استفز الشارع العربى والإسلامى وأشار بأصابع اتهام ظلت تكبر كلما أمعنت إسرائيل فى عدوانها، وعانت من صمود الحزب وانهيار المخطط الإسرائيلى. الثابت أيضاً أن إسرائيل التى أوهمت نفسها بأن المواقف الرسمية العربية تؤيد عدوانها وتباركه أوهمت نفسها أيضاً بأن حزب الله مكروه ومعزول فى العالم العربى، وأن سحقها له هو فرض كفاية عن هذا العالم العربى الذى يقدر لها حسن صنيعها ويدخلها إلى قلوب العرب بهذا العمل القدرى. والذى لا بد أن تعلمه إسرائيل جيداً هو أن حسن نصر الله تحول إلى أيقونة ورمز وتحول الحزب خارج لبنان إلى رمز للصمود فى مواجهة غطرسة القوة والإذلال والتواطؤ المكشوف بين إسرائيل وأمريكا. وإذا كان المقام لا يتسع لتحليل مدلول بعض المواقف العربية، فإنه تكفى الإشارة إلى أن فشل إسرائيل فى توظيف قوتها العسكرية والغطاء الدبلوماسى الهائل والذى توفر لها واعتراضها منذ البداية بأنها تنفذ خطة مدبرة وأنها أصبحت مؤهلة لكى تنفذ فى حزب الله قرارات مجلس الأمن الذى لم تحترمه يوماً قد أشعل

الحماس في الشارع العربى والإسلامى للحزب وأمينه العام وهو يلحظ بالإساءة للسكوت العربى الشامل، حتى خرجت من هذا الشارع كل صور الإدانة والانتهاك للحكومات العربية واستعلى هذا الشارع على بعض التلميحات الطائفية الصادرة عن بعض الحكومات العربية، واستغربت أن تدين هذه الحكومات المؤامرة الأمريكية الطائفية في العراق في الوقت الذى تمارس نفس الشيء مع حزب الله.

ولكن الذى يهمنى في هذه المقالة بشكل محدد تلك الأسئلة الملحة في تحليل الموقف المصرى من حزب الله. فلماذا تعادى مصر حزب الله وتدخل نفسها طرفاً في صراع لبنانى داخلى وأين مصلحتها في ذلك؟ ولماذا يؤيد الشارع المصرى وجميع القوى السياسية المصرية بلا استثناء، بينما تقف الحكومة موقفاً معاكساً؟

هذا السؤال يطرح بإلحاح على الحكم فى مصر حتى يوضح للشعب هذا الفارق الضخم فى الموقف من حزب الله. ألا يدافع الحزب عن أرض لبنانية وألا يدافع ضد أعتى آلة حرية معتدية إسرائيلية، وألا يسعى الحزب إلى تحرير الأسرى العرب؟ وحتى لو التقت المصالح السورية والإيرانية مع حزب الله ضد إسرائيل والولايات المتحدة، أليس ذلك أمر يتعلق بمعركة واشنطن وإسرائيل مع أعدائهما؟. ولماذا تنكر مصر أن يتلقى حزب الله اللبنانى المساندة من سوريا وإيران وحتى من الشيطان مادام يدافع عن أرضه، بينما لم تنكر تبجح أمريكا بمساندتها لإسرائيل فى عدوانها بكل أنواع الأسلحة المحرمة والعالم كله يتفرج على هذا المشهد المخزى. وألا تدرك الحكومة المصرية أن موقفها بعيد للغاية عن موقف شعبها، وهل كانت مصر الرسمية تأمل حقاً أن تنتصر إسرائيل وتسحق حزب الله وتحتل لبنان حتى يقال أن نقد الحزب فى البداية نابع من بعد النظر والحكمة، وأن الحزب لم يحسب للأمر حسابه وأن طيشه واندفاعه أعمياه عن جدية تحليل النتائج المختلفة. وهل تحرض مصر الرسمية على المخطوفين الإسرائيليين

بينما لا يهتمها الأسرى العرب مادام الحديث عن هؤلاء الأسرى سيقرب المواجه على أسرارنا الذين أعدموا وهم أمانة في يد القوة الغاشمة الآسرة دون أن تحرك مصر ساكناً، أم أن إرغام حزب الله إسرائيل على اتباع قواعد لعبة مختلفة معه قوامها الجدية يخرج الحكومات العربية جميعاً وبشكل أخص مصر الرسمية التي تتسامح بشكل لافت مع العبث الإسرائيلي المتكرر بأرواح جنودنا داخل منطقة الحدود المصرية الإسرائيلية. وما هي المصلحة التي تعود على مصر من موقف مصر الرسمية من حزب الله ومواصلة نقده في هذا الظرف الدقيق الذي يوزع فيه الحزب اهتمامه على الحملة الدولية ضده لإضعافه وتحجيمه ومنعه من الرد على تطاولات إسرائيل وتماديها ضد لبنان كما يركز اهتمامه على الساحة الداخلية بعد أن أدى تدويل المسألة اللبنانية خاصة بعد العدوان الأخير إلى خلط الأوراق الداخلية والدولية لصالح إسرائيل.

وما هي مصلحة مصر في نزع سلاح حزب الله، كما أننا نتساءل أيضاً عن مصلحة مصر في الاشتراك في الحملة الدولية لحصار الشعب الفلسطيني وإسقاط حماس لصالح فتح وتدهور الأوضاع ودخولها إلى حرب أهلية. إذا كانت مواقف مصر الرسمية تعبر عن مزاج شخصي فلا نظن أن هذه المسألة يصح فيها العفوية والتعبير التلقائي عما تكنه قلوب الساسة، أما إن كانت المواقف مدروسة فإننا نأمل بصدق أن يتفضل الحكم بتوضيح الاعتبارات والمصالح التي جعلت موضوع حزب الله شاغل اليومى تقريباً لوزير الخارجية. وإذا كان مفهوماً، وإن لم يكن مقبولاً، أن يفسر موقف الحكم من حماس بمقاييس المسرح الداخلي المصري وعليه لاعب جديد هو الإخوان المسلمون، وعلاقة الإخوان بحماس، فهل نفس المقاييس هي نفسها التي تدفع إلى الخشية من أن ارتفاع أعلام الحزب ترفع أعلام الإخوان في مصر والتيار الإسلامي عموماً؟ وهل لو كان حزب الله حزباً مسيحياً وتصادف جدلاً أن كان حليفاً لأمريكا ويدافع عن لبنان ضد إسرائيل، فهل موقف مصر الرسمية سوف يتغير؟.